

البحر الاعظم

لجبران خليل جبران

* * *

بالامس -- وما أبعد الامس وما اقربه -- ذهبت ونفسي الى البحر العظيم
لنفسل بمائه ما علق بنا من غبار الارض واوحالها .
ولما بلغنا الشاطئ طفقنا نبحث عن مكان خال يحجبنا عن العيون .
وبينا نحن سائران التفتنا فاذا برجل جالس على صخرة غرباء وفي يده
كيس يأخذ منه الملح قبصة بعد قبصة وي طرحها الى البحر .
فقلت لي نفسي -- " هوذا المتشائم الذي لا يرى من الحياة سوى ظلها .
وليس المتشائم بخليق ان يرى جسدينا العارين . فلنغادر هذا المكان اذ لا
سبيل الى الاستحمام هنا ."
فتركنا ذلك المكان وتابعنا المسير حتى وصلنا الى خور في الشاطئ فاذا
برجل واقف على صخرة بيضاء وفي يده صندوقة مرصعة بالجواهر وهو يتناول
منها قطعاً من السكر ويرمي بها في البحر .
فقلت لي نفسي -- " وهذا هو المتفائل الذي يستبشر بما لا بشر فيه .
وحذراً من المتفائلين ان يروا جسدينا العارين " . فعدنا نواصل المسير حتى

عثرنا على رجل واقف بقرب الشاطئ، يلتقط الاسماك الميتة ويعيدها بخنور
الى البحر .

قالت لي نفسي - « وهذا هو الشفوق الذي يحاول ارجاع الحياة
لمن في القبور . فلنبتعد عنه . »

ثم اتينا الى حيث رأينا رجلاً يرسم خياله على الرمال فتجىء الامواج
وتسحو ما رسمه وهو يتابع عمله المرة بعد الاخرى .

قالت لي نفسي - « هوذا المتصوف الذي يقيم من اوهامه صنماً ليعبده .
فلندعه وشأنه . »

ومشينا الى ان تبصرنا في خليج هادى، رجلاً يكشط الزبد عن سطح
الماء، ويضعه في اناء، من العميق .

قالت لي نفسي - « هوذا الخيالي الذي يحوكم من خيوط العنكبوت
رداءً ليلبسه . وهو ليس بجدير أن يرى جسدنا عاريين »

فتابعنا المسير . واذا بنا نسمع صوتاً هائلاً - « هوذا البحر العميق .
هوذا البحر الهائل العظيم »

فبحثنا عن مصدر الصوت فرأينا رجلاً واقفاً مديراً ظهره الى البحر وقد
وضع صدقة على اذنه وهو يصغي الى دمدتها .

قالت نفسي - « سر بنا . فهذا هو الدهري الذي يدير ظهره الى كليات
لا يستطيع الاحاطة بها ويشغل ذاته بجزئيات تستميل كليته . »

فسرنا الى ان رأينا في معشبة رجلاً بين الصخور وقد دفن رأسه في الرمال .

قللت لنفسي - « هلمي يا نفس نستعم هنا . فهذا الرجل لا يستطيع ان يبصرنا . »

فهزت نفسي رأسها قائلة -

« لا والى لا . ان من تراه هو شر الناس أجمعهم . هو اتقي النقي الذي

يحجب نفسه عن مأساة الحياة فتحجب الحياة مسراتها عن نفسه . »

حينئذٍ ظهر على وجه نفسي حزن عميق . وبصوت تقطعه المرارة قالت -

« لنذهبن من هذه الشواطىء . فليس هنا مكان خفي محبوب نستطيع

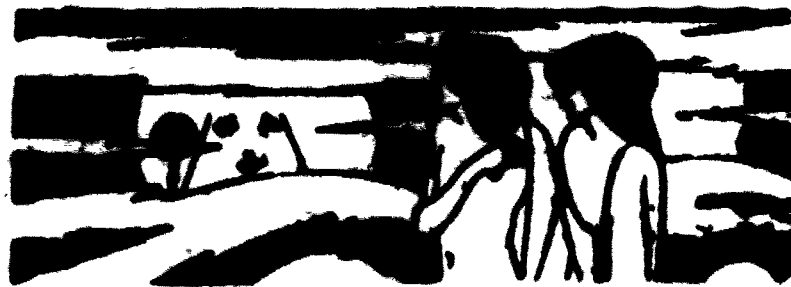
ان نستحم به . وأنا لن أرضى أن اسرح غداثري الذهبية في هذه الريح ، أو أن

اكشف صدري البض امام هذا الفضاء ، أو ان اتجرد واقف عارية امام هذا

النور . »

فغادرت ونفسي ذلك البحر العظيم . وسرنا نشد البحر الاعظم .

جبران خليل جبران





اغنية الليل

لمبران خليل جبران

سكن الليل ، وفي ثوب السكون	تختبي الاحلام
وسعى البدر ، وللبدر عيون	ترصد الايام
فتعالى ، يا ابنة الحقل ، نزور	كرمة العشاق
علنا نطفي بدياك العصير	حرقه الاشواق
اسمعي البلبل ما بين الحقول	يسكب الالجان
في فضاء. نفخت فيه التلول	نسمة الريحان
لا تخافي ، يا فتاتي ، فالنجوم	تكتم الاخبار
وضباب الليل في تلك الكروم	يحجب الاسرار

لا تخافي ، فروس الجن في
 هجعت سنكري وكادت تختفي
 كهفها المسحور
 عن عيون الحور

ومليك الجن ان مرُّ روح
 فهو مثلي! عاشق كيف يوح
 والهوى يثنيه
 بالذي يفضيه

بسم الله الرحمن الرحيم





الجبران خليل جبران

—

الخنساء

ذكري الخنساء

عَلَى اشلاء القتلى خلال انين الجرحى وحشجة الارواح يتصاعد اليوم
الى السماء الصامته عويل الام والاخت والزوجة - بكاء الحنان والتضحية
عَلَى الانسانية الوحشية المتطاحنة .

هو عويل الاسى نسمعه متصاعداً من كل بيت هلك رجاله ودك عماده .
فيذكرنا بقسمة الامراة التي حتم عليها قبل هذه الايام أن تنوح عَلَى قد
شقيقها الرجل . ويعيد الينا ذكري نساء كثيرات اشتهرن بالاخلاص في
حزنهن عَلَى رجالهن يرصع ذكرهن صفحات التاريخ المظلمة وفي مقدمتهن
امراة من شهيرات العرب الاقدمين لا يُذكر الحزن والنواح الا ذكر اسمها
عَلَى الاثر .

تلك الامراة هي الشاعرة الشهيرة الخنساء .

الان ، وفي كل بيت خنساء تجود بالدموع وتعيد النوح والتعديد ،
يجدر بنا ان نذكر كلمة مختصرة عن هذه الامراة العجيبة باخلاصها ، العظيمة
بدموعها ، التي رأى جبران المتفنن ان يخلق لها رسماً أوحته اليه مخيلته
القديرة . وهو رسم يراه القارىء بازاء هذه الصفحة ، يتأكد لمن يتأمل
فيه أن مصوره أشرف من عالم الغيب وحلّق فوق الدهور الفسفرة حتى

تخطاها وهبط على بلاد العرب في عصر الجاهلية وقصد مسارح قبيلة بني
سليم ، وهناك رأى بين الخيام المحدودة والرماح المركوزة امرأة قد تأصل
العزن في كل جارحة من جوارحها تقدم من دموعها ذبيحة اخلاص على
قبر اخيها القتيل ، فوعى صورتها في ذاكرته ونقلها اليها كما رآها . وكأني
بها تنطق في الرسم بهذه الايات التي نذبت بها اخاها صخراً

يوه رقني التذكر حين امسي فاصبح قد بليت بفرط نكس
يذكرني طلوع الشمس صخراً وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما سيكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

.....

ولدت الخنساء في زمن الجاهلية ودعيت تماضر ثم لقبت بالخنساء -
والخنساء الطيبة - لجمالها الرائع . ويقال بل دعيت بالخنساء لان انفها كان
اخس أي فيه تأخر عن وجهها .

سبت تماضر في أهل هم سراة قومهم . وكانت ذات جمال بارع
فتهاقت عليها الخطاب من سادة العرب وفرسانها . ومنهم دريد ابن الصمة
الذي كان يلقب بشيخ العرب لسطوته وشهرته ومكانته السامية . قيل انه
رآها يوماً وقد خفت ثيابها مشغولة في عمل منزلي فراقبها من بعيد مشغولاً
وهام بها لأول نظرة . وتغزل بها في اشعاره . وأتى اباهاً خاطباً فأحسن
استقباله وقال له -

« مرحباً بك ، أبا قمره . انك الكريم لا يُطعن في حسيه ، والسيد لا يُرد عن حاجته ، والفعل لا يُقرع أنفه . ولكن لهذه الامرأة في نفسها ما ليس لغيرها . وانا ذا كرك لها وهي فاعلة . » ثم دخل الى ابته وقال لها :
 « يا خنساء ، اتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين . » فقالت - « يا ابت ، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ومتزوجة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد . »

رفضت الخنساء ان تتزوج دريداً كما رفضت غيره . ولا يعجب القارىء فائسآء في عصر الجاهلية المظلم كن ينلن احياناً من الحرية اكثر مما تعلم به نساء الشرق اليوم . والخنساء عرفت حقوقها في الحرية فتمسكت بها ورفضت ان تتزوج اعظم زعيم عربي في ذلك الحين رغم ارادتها ولم تقيد ب ارادة أب او مسيطر .

وتزوجت الخنساء بعد ذلك رجلاً سرياً من بني عمها وولدت له الاولاد . على ان زوجها كان مبذراً متلافاً . فبدد ماله في وقت قصير وأمسى فقيراً لا يكفي حاجات عائلته . فببت الخنساء تستغيث باهلها فاغاثها اخوها صخر . وهو زين اخوتها وسيد قومها وفارس قبيلته المشهور . فقاسمها ماله . وكان يتعهدا بمثل ذلك كلما شعر بحاجة الى ان اصيب بطغنة في احدى غزواته فاستعصى بروءها وغادرته طريح الفراش اعواماً لا يُعلم أميت فيبكي أم حي فيرجى . فمله الامل جميعاً - والناس مفلطرون على كره المصائب - وملته زوجته سليمة الا اخته الخنساء فكانت لا تنقطع عز

عيادته والاهتمام به وتود لو استطاعت ان تفديه بحياتها . وفي ذلك :

يقول صخر -

أرى أم عمرو لا تمل عيادتي وملت سليبي مضجعي ومكاني

ثم توفي صخر من الطعنة فترك في قلب اخته حسرة لا تطفأ ونوعة لا تبرأ راققتها الى القبر . فجعلت ندب اخيها باشعارها ديدناً لها . وبالأجبال قد كانت اشعارها كلها بكاء على اخيها . وما ديوانها الا تمثال حي خلد به اسم اخيها صخر قبل اسمها .

حملت الخنساء على رأسها اكليل شوك من الاحزان والالام كل حياتها . ولم تمنع يد النسيان ذكر اخيها من قلبها . ولم يسدل كر الزمان ستار الحمود على لواعج احزانها فظلت امينة تندب وتبكي بدمع عينها وبدمع شعرها حتى مسح الموت - مريح البائسين - بيده المعزية عبراتها وانقذها من مصائبها الارضية .

ماتت الخنساء في عصر الاسلام عجوزاً هرمة . ولم تطرد انوار الديانة الجديدة التي انبثقت امامها في صحارى العرب اشجان قلبها . ولم تنسها اخاها الفتوحات والامجاد الجديدة حتى ولا مقتل بنينا فحافظت على ذكرى صخر في قلبها ولم تكف عن رثائه . ويحكى عنها ان عائشة زوج رسول الاسلام زارتها يوماً فرأت عليها شعاراً من مسح قد لبسته على جسدها مما يلي البشرية فغبت عليها لبسه وقد نهى الاسلام متابعة مثل ذي الشعائر الجاهلية . فأبت

المنسآء الا ابقاءه حزناً على اخيها فلم تغلمه حتى ماتت

.....

لا يصح لمن يجيل فكرته في حياة المنسآء دارساً مستفيداً الا ان يعظم
هذه الامرآة الجاهلية ويحترمها .

يعظمها لإخلاصها في حبها وحفظها جميل اخيها وذكرها حتى القبر
والوفآء حتى الموت . وفي ذلك عبرة لمن يداوون احزانهم بالنسيان السريع

ويحترمها لمحافظتها على حريتها في انتخاب الزوج ورفضها الجاه والغنى
في زيجة لم تطب لها . وفي ذلك امثلة لفتيات هذا العصر .

فلنحترم ذكرها ولنعظمها . ولنضعها في مصاف بطلات العرب القلائل
المالذات . ولنذكر انها خلدت باخلاصها .



لأنسبن "الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي - الاسلام هو التسليم .
والتسليم هو اليقين . واليقين هو التصديق . والتصديق هو الاقرار . والاقرار
هو الاداء . والاداء هو العمل .

(علي ابن ابي طالب)